وكون الكفرة اربى منهم عددا وشوكة ومالا او على مشاق التكاليف الشرعية مطلقا التي
من جملتها الوفاء بالعهد ببيان انه تعالى يجازيهم على اعمالهم الحسنة وجهة
كانت الكلمة اوسند وبة او ببيان انه تعالى يجازيهم بجزاء احسن من اعمالهم ثم ان كان
المراد بالصبر الصبر على مشاق الاحتراز من ايمان البيعة يكون قوله تعالى من عمل
صالحا الاية ترغيبا في اتيان كل ما كان من شرايع الاسلام بان وعد على اتيانه سعادة
الاخرة وان كان المراد به الصبر على مشاق التكاليف بمعنى توطين النفس على حقوق الربوبية
وتحقيق معنى العبودية وقهر النفس الانسانية بالشروع بمخالفة مقتضياتها وحظوظها الط
الطبيعية يكون قوله من عمل صالحا الاية ترغيبا في الاعمال الظاهرة البدنية بعد الترغيب
في الاخلاق النفسانية والفضائل القلبية وتصريحا بان كون الاعمال الصالحة في الحيوة
الطيبة وثواب الاخرة مشروطا بالايمان فان قيل كيف شروطها مع ان قوله تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره على ان العمل الصالح يفيد الاجر مطلقا قلنا لا نم ذلك
فان رؤيته لا يستلزم كون العامل مثابا بعمله لجواز ان يكون فائدة عمله تخفيف العقاب
فانه لا يتوقف على الايمان والى ذلك اشار المص بقوله وانما المتوقف عليها تخفيف العقاب
قوله بينه بالنوعين جواب لما يقال من كلمة من بعد العموم فما الفائدة في ذكر الذكر
والانثى وتقرير الجواب ان لفظ من وان صح اطلاقه على النوعين الا انه لو لم
يبين بهما لتوهم اختصاص الحكم بالذكور بناء على ان الاناث لا يدخلن في اكثر الاحكام
كالولاية والقضاء والجهاد واقامة الجمعة واكثر فروض الكفاية قوله وقيل في الاخرة
نقل وجه ضعفه انه تعالى عقبه بقوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
ولا شبهة في ان المراد به ما يكون في الاخرة فينبغي ان يحمل الحيوة الطيبة على ما
يكون في الاخرة لزم ان لا يعذب المؤمن الذي عمل عملا واحدا من الاعمال الصالحة
بعذاب الاخرة اصلا لان من عذب بقدر ذنبه كيف يصح ان يقال في حقه انه تعالى
احياه حيوة طيبة في الاخرة فان قوله من عمل صالحا عام من اتى بعمل واحد مما يكون في اجراء
حكم الاسلام عليه وذلك لا يستلزم ان لا يعذب اصلا لم لا يجوز ان يكون منوطا بمشية الله تعالى ان
شاء عذبه بقدر ذنوبه وان شاء عفى عنه وان كان مصيره في العقبى الى الجنة بخلاف
ما لو حمل على ما يكون في الدنيا فان من عمل عملا واحدا مما يصح ان يجري عليه حكم الاسلام
بسبب يكون حيوته في الدنيا طيبة يسلم في نفسه وماله ويستقل في امره وهذا ادنى
مراتب طيب حيوته في الدنيا ثم انه يجزي في الاخرة بعمله ذلك قيل الحيوة الطيبة في الدنيا

الدنيا طيبة يسلم في نفسه وماله عبادة الله تعالى مع اكل الحلال وصلاة القناعة فانه لا
يطلب في الدنيا الا عيش القانع واما الحريص فانه يكون ابدا في الكد والعنا ولا شك
ان عيش المؤمن في الدنيا اطيب من عيش الكافر لان المؤمن يعرف ان رزقه انما حصل
بتدبير الله تعالى ويعرف انه محسن كريم لا يفعل الا الصواب فيكون راضيا بكل ما قضاه
وقدره بعلمه بان مصلحته في ذلك والكافر لا يعرف هذه الاصول فكان ابدا في الحزن
والعنا وايضا المؤمن يعلم ان خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة التقلب فلو لا
تغيرها وانقلابها لم تصل من غيره اليه فلا جرم لا يعظم فرحه بوجدانها ولا غمه بفقدانها
ويصرف اجل همته الى تحصيل اللذات الباقية والسعادات الاخروية واما الجاهل
فلا يعرف سعادة اخرى تغاير هذه اللذات العاجلة فلا جرم يعظم فرحه بوجدانها
وغمه بفقدانها ثم انه تعالى لما ذكر انه يجازي على الاعمال الصالحة ارشد الى طريق يخلص
به عن وساوس الشيطان وهو الاستعاذة بالله من الشيطان والقائه
الوساوس في القلب وخص قراءة القران بالذكر من بين الاعمال الصالحة لانها
داعية الى كل عمل صالح من القلبية والقالبية فكانت ذلك راس الاعمال الصالحة
ولما كانت الفاء في قوله فاستعذ بالله للتعقيب ظاهر الاية على ان تكون الاستعاذة
بعد قراءة القران كما ذهب اليه جماعة من الصحابة والتابعين وقالوا لم يأت بالاستعاذة
بعد القراءة لو ربما يوسوس اليه الشيطان انك قد اتيت من العمل الصالح بما يمحو الله
تعالى به ذنوب كذا سنة فيعتمد على عمله فيضيع ثواب قراءته فاذا استعاذ بعد
القراءة لم تندفع الوساوس ويبقى الثواب الموعود مصونا عن الخلل الا ان الاكثر
من علماء الصحابة والتابعين قد اتفقوا على ان الاستعاذة متقدمة على القراءة
وقالوا معنى الاية اذا اردت ان تقرأ القران فاستعذ بالله وليس معناه استعذ بعد
ونظيره قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وقوله اذا اكلت فقل بسم الله واذا [illegible]
فتأهب وقد روى ائمة القراءة مسندا عن نافع عن جبير بن مطعم انه كان يقول قبل القراءة
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وعن معقل انه قال من قال حين يصبح ثلث مرات اعوذ
بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثلث ايات من اخر سورة الحشر وكل الله به سبعين
الف ملك يصلون عليه حتى يمسي وفي شرح الشاطبية اجمع القراء على ان الاستعاذة حال
الشروع في القراءة ودل الحديث على ان التقديم هو السنة فبقي سببية القراءة لها والفاء في فاستعذ
لما دل على السببية قدرت الارادة ليصح معنى السببية قوله اقرانه عن العلم عن الترح

Copyright © King Saud University